أيديولوجيا السلطة الأبوية في الرواية السياسية

إعداد

الدكتور/ شريف شمس الدين

أستاذ مساعد

بجامعة النخبة الليبية ـ بنغازي

الملخص:

إن أيديولوجيا السلطة الأبوية تحتل مكانة مهمة فى المجتمعات على اختلاف طبقاتها، فمنذ أشرقت على الأرض شمس حضارة بنى الإنسان، والأب يحظى بنصيب غير قليل من تلك الحضارات، على اختلاف الأمكنة، ومر العصور، وقد تناولته بالبحث والدراسة علوم مختلفة؛ منها التاريخ، والفقه، والسياسة، والتشريع، وعلم النفس، والأدب. ولقد انعكست هذه الأهمية فى روايات كثيرة لدى الكتاب العرب بمختلف جنسياتهم .

وبما أن الرواية العربية متصلة اتصالاً وثيقاً بالسياسة فهي من أكثر الأشكال الأدبية تعبيراً عن واقع الإنسان العربى، وعن آلامه وآماله، ذلك لأن فن الرواية يصلح لطرح مضامين (أيديولوجية)، ومناقشة قضايا فكرية وسياسية، وبناء على ذلك ظهر ما يعرف باسم (الرواية السياسية) Political Novel.

وسوف أتناول بالدراسة الفنية نماذجًا من الأعمال الروائية العربية لدى بعض الروائيين العرب أمثال: صنع الله إبراهيم، وعبد الرحمن منيف، والطاهر وطار، والطيب صالح.التي ظهرت فيها هذه الأيديولوجيا بوضوح، محاولاً الوصول لأهدافها ومدى تأثيرها على الواقع.

الكلمات المفتاحية:

سبب اختيار الموضوع:

وكان من أسباب اختيار أيديولوجيا السلطة الأبوية في رمزية الرواية السياسية، أن مجتمعنا يتغير نحو النضج فى لهفة وترقب؛ وهذا ما يجعل تجربة الأب من أخصب التجارب التى خاضها الكتاب، لأن سمات التغير تنعكس عليه، وتصاحب حركته نحو المستقبل، وتكشف مشاعر التغيير التى يمر بها المجتمع، وخصوصًا بعد ثورات الربيع العربي المتتابعة في عدد من الأقطار العربية، بحيث يمكننا أن نقول إنها تصلح من الناحية الفنية أن تكون إشارة دلالية.

ولعل ما دفعنى أيضًا إلى تناول هذا الموضوع، هو ما يتيحه للباحث من إمكانية الجمع بين التحليل الفنى، والتأمل السياسى والاجتماعى والثقافى، فى الواقع العربى من خلال التشكيل الروائى المعاصر له .

ومن أسباب اختيارى لهذا الموضوع أيضًا أن أحدًا لم يسبق له تناول مثل هذا الموضوع، والحديث عن أيديولوجيا السلطة الأبوية بوجه خاص فى الرواية العربية، فبالبحث والاستقصاء عن أهم ما كتب حول هذا الموضوع، لم أعثر فيما اطلعت عليه من الكتابات الأدبية على عمل نقدى تناول موضوع دراستى تناولاً مباشرًا، ولكننى لاحظت أن هناك كتابات تعرضت للموضوع بطريقة أو بأخرى، أثناء معالجة الشخصيات الروائية عمومًا، لكنها لم تركز على الدور الأيديولوجي السلطوي للأب، وإنما جاء الحديث عنها عابرًا.

ومن ثم رأيت أن أجعل دراستى مقصورة على شخصية الأب؛ لما لها من أهمية كبرى فى فن الرواية، وأيضًا لأن الأب هو المحور الذى يستقطب الأحداث الروائية ويجعل منها وحدة فنية متكاملة.

المقدمة:

يمثل الرجل القسيم الأبرز في ثنائية الحياة القائمة على (الذكر/الأنثى) وهذا بسبب الدور التاريخى الذى يسند إليه فى هذه الحياة. فمن ناحية يبدأ الرجل من الصورة الأولى للإنسان ؛ أى الطفلية. وفى هذه المرحلة من عمره نجده محط اهتمام الأسرة ومركز آمالها بعدّه ـ كما يقال فى الفلسفة ـ رجلاً بالقوة. أى على تقدير ما سوف يكون. ومرجع ذلك ـ كما هو معروف ـ أن هذا الطفل يمثل الامتداد الشرعى والطبيعى للأسرة. فهو حامل لقبها ووارث ثروتها. ولهذا نجد أن الرجل/الطفل هو المفضل فى حياة الأسرة، على الأخص فى المجتمعات الشرقية. ويظهر هذا تحديدًا ـ فى الشريعة الإسلامية ـ حيث يرث الرجل ضعف ما ترثه المرأة. قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾.[1]

ويستمر هذا التفضيل فى مرحلتى الصبا والشباب حيث يعطى للصبى أو الشاب الحق فى توجيه الأسرة، وعلى الأخص الفتيات، بل إننا نجد فى بعض البيئات أن هذا الحق يمتد ليشمل الأم. ودلالة هذا الحق واضحة إذ المعنى أن الأسرة تنظر لهذا الشاب بعدّه رجل المستقبل وسند الأسرة وفخر العائلة.

أما الرجل الزوج، فلا حاجة إلى التدليل على كونه صاحب الحق فى قيادة الأسرة، وتوجيه مصيرها، مستخدمًا سلطته الأبوية، التى تتخذ فى بعض الأحيان أشكالاً من التسلط غير مقبولة. وربما يعود هذا كله إلى الدور الأقدم الذى فرضته الطبيعة على ثنائية الرجل والمرأة. فالأب هو صاحب السلطة، ومن ثم فهو القادر على العمل، وهو صاحب المسئولية الأولى فى الإنفاق على أسرته.

ونتيجة لهذا كله نشأ ما يعرف بالمجتمع الذكورى؛ أى المجتمع الذى ترتبط علاقاته وتتحرك تبعًا لرؤية الرجل.

وعلى الرغم من التسلط الذكورى فإن الرجل ليس هو دائمًا ذلك المتجبّر، فالأمر منوط بالدور الاجتماعى، وبمكانته فى سلم التراتب الوظيفى، فمن جهة تختلف صورة الأب بحسب الوظيفة (العمل) التى يؤديها لكسب عيشه، ولا حاجة إلى التدليل على ذلك. فالأب المثقف يمارس دورًا يختلف عن الأب الجاهل أو الأمى. والأب العامل يختلف عن الأب الموظف، والأب المشتغل بالسياسة أو المهتم بها يختلف عن الأب المشغول بذاته أو بحياة أولاده عن السياسة.

ولاشك أن سلطة الأب ضرورية لتطور كيان الأسرة، ذلك أن السلطة كالقانون، توجد كلما وجد أى تجمع بشرى وصلات اجتماعية، حتى لو كان هذا التجمع البشرى من أكثر وأقدم التجمعات بدائية*.

وبالنسبة للإنسان فالسلطة لديه مطلوبة للتطور، والحفاظ على الإطار الذى يشمل المسئولين منه حتى لا يخرج أحدهم من سياج هذا الإطار الذى يشملهم. فالغريزة هى التى قادت الإنسان إلى الحياة فى قبائل صغيرة، مع الجمع بين النقيضين الحادين: الصداقة لمن فى الداخل والعداء لمن فى الخارج. وقد أسهمت قوى متنوعة لفرض هذه السلطة، ففى مرحلة مبكرة جدًا كان ولاء الإنسان للمجموعة، وبالتالى فهذا الولاء للمجموعة كان يدعمه الولاء للقائد، ففى القبيلة الكبيرة يمكن أن يكون الزعيم أو شيخ القبيلة معروفًا لكل فرد. والحروب

([1]) سورة النساء: الآية 11.

* انظر: جان وليام: السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت ، د. ت، ص 48 وما بعدها.

القبلية القديمة لم تكن حروب إبادة بقدر كونها حروب إخضاع، ولذا فإن المهزومين كانوا لا يُقتلون وإنما يتحولون إلى عبيد ويرغمون على خدمة مخضعيهم.

وبما أن السلطة هى علاقة بين الأشخاص، يتطلع فيها الشخص إلى الآخر على أنه إنسان أعلى منه، فيمكننا تقسيم هذه العلاقة إلى علاقة تفوقية وأخرى خضوعية، ويوضح هذا كمثال العلاقة بين الأب وأسرته والعلاقة بين مالك العبد والعبد، فى الحالة الأولى هى شرط مساعدة الشخص الخاضع للسلطة، وهى فى الحالة الثانية شرط استغلاله.

إن السلطة ظاهرة عامة فى شتى التجمعات البشرية، وقاسم مشترك بين مختلف القطاعات النظامية وغير النظامية فى المجتمعات كافة، وهى لا توجد فى صورة هلامية. فى أى من هذه الكيانات، ولكنها تتبلور وتتجسد عادة فى تكوين بنائى محدد يتألف من أفراد وجماعات داخل كل نظام اجتماعى نوعى مفرد.

وقد تستمد السلطة من شخصية الفرد نفسه، وما يتجلى به من شمائل أخلاقية، ومواهب عقلية وقدرات تنظيمية، تفوق ما لدى غيره من الأفراد، وتجتذب الجماهير وتدفعها إلى الانصياع لمشيئته، والإذعان لأوامره ونواهيه.

وعلى ذلك يؤدى اختلاف مصادر السلطة وتنوعها إلى تعدد وتباين أشكال القوة ومظاهرها السائدة فى المجتمع، وتتمثل هذه الأشكال وتبدو عادة فى صيغة أنماط نوعية من علاقات التفاعل والاتصال بين الأشياء والأشخاص والجماعات، سواء أكان ذلك فى إطار المجتمع الواحد أم على نطاق المجتمع الدولى بأسره. ويشهد التاريخ الإنسانى منذ بدء الخليقة على سعى الإنسان للسلطة وفرض النفوذ، وهذه العملية تكشف عن الصراع الدائم بين الأفراد والجماعات فى المجتمعات والبيئات المختلفة.

التطور التاريخي للسلطة

أما عن التطور التاريخى للسلطة فقد كان مفهومها منبثقًا انبثاقًا دينيًا وثيقًا عن الذات العليا الذى هو الله.

وقد تمثلت السلطة، أيام العصر المسيحى الأول، من شخصية المخلّص المهيمنة. ثم انتقلت على الفور إلى التنظيم الذى تمثل بحواريّ المسيح ورسله وبعد ذلك، فى عصور لاحقة، أصبحت الكنيسة هى الأداة الأكثر تأثيرًا وديمومة فى ممارسة السلطة على مستوى عالمى. حيث تكونت من كل ذلك السلطة الدينية وقد كانت ممثلة فى البابا، حيث كان القساوسة كقواد للبشرية مجددين دائمًا فى العقيدة والأخلاق.

وبهذا فإن الراهب فى هذه البيئة كان أساس القوة والسلطة الروحية المهيمنة فى المجتمع، إلا أن انقسام الكنيسة فى العصور الوسطى إلى شرقية لها مذهب دينى وغربية لها مذهب دينى مخالف؛ جعل دورها القيادى يتقلص ومن ثم انتقلت السلطة إلى الملك أو الحاكم، علمًا بأنه كان قبل ذلك يعين من قبل البابا.

وبهذا فقد حلت سلطة رئيس الجماعة أو شيخ القبيلة أو الملك محل السلطة الكنسية؛ حيث ترتب على ذلك اكتساب رئيس الجماعة للسلطة المطلقة داخل جماعته، وحينما ظهر نظام الأسرة الأبوية كان رئيس الجماعة أو شيخ القبيلة يقطع كل أسرة نصيبًا من الأرض تقوم بزراعته، وبمرور الأزمان تم تحويل الملكية الجماعية للقبيلة أو العشيرة إلى ملكية الأسرة نتيجة لازدياد سلطة رب الأسرة وضعف سلطة شيخ القبيلة أو الملك. وقد استقلت كل أسرة فيما بعد بأملاكها يتوارثها أعضاؤها جيلاً بعد جيل « *ولا يعود إلى العشيرة أو الدولة بانقراض الأسرة* »[1]. ومن ثم اتسعت بعد ذلك سلطة رب الأسرة على أموالها، فصار له حق التصرف

---

(1) Girand Manuel elementaire de droit Romain,Paris 1929.p 283.

فيها حال حياته بالبيع وبعد وفاته بالوصية، وقد زالت تدريجيًا فكرة رب الأسرة لأعضائها وأصبح المالك الوحيد لأموالها ولم يبق لأعضاء الأسرة سوى حق الميراث فيما يتركه رب الأسرة عند وفاته، وبذلك ظهر نظام الملكية الفردية فى شخص رب الأسرة فى صورة مطلقة، ولما تفككت الأسرة فى عصرنا الحالى، ظهرت الملكية الفردية فى شكل جديد وهى ملكية استقلالية لكل فرد على حدة وبذلك *«تساندت الظروف الاقتصادية والتقاليد الدينية فى تغيير الملكية من ملكية جماعية إلى ملكية عائلية ثم إلى الملكية الفردية »*[1].

ففى الماضى نجد أن الأدوار قد وزعت فى الأسرة، فكان الأب هو الحاكم بأمره، وصارت الأم مغلوبة على أمرها، وانعكس ذلك على الأطفال، كل لما أعد له بحسب جنسه، فالابن أعد ليكون صورة مصغرة لأبيه الحاكم بأمره، قادرًا على تحمل الأعباء، والابنة أعدت لتكون العنصر السلبى المغلوب على أمره تسمع وتطيع.

وقد حرصت كل قبيلة على أن *« تحاول تربية أبنائها، وفق النمط الذى كان كبارها يسيرون عليه »*[2] هذا بالإضافة إلى تقليد كل من الأبناء والبنات لدورى الأب والأم كل لما أعد له فلقد كان *« التقليد الأعمى للوالدين يلعب دورًا واضحًا فى هذه التربية »*[3] وعندما تقدمت هذه المجتمعات القديمة امتلكت الأراضى، صارت المرأة عونًا للرجل بعد أن كانت عبئًا عليه، فقد حظيت المرأة ببعض الاهتمام ونالت قدرًا من الحرية والسيادة وعلى الرغم من أنها صارت أكبر عونًا للرجل، إلا أن الذيلية التى كانت متعلقة بها فى الماضى ظلت تطاردها من حين لآخر.

السلطة فى محيط الأسرة

وإذا تحدثنا عن مفهوم السلطة فى محيط الأسرة، نراها مركزة فى شخص الأب الرجل، فهو يمثل السلطة فى هذا المجتمع الصغير المكون من الأم والأب والأطفال. والمجتمع يعتبر الأسرة وحدة أساسية وليست امتدادًا للعشيرة أو القبيلة.

وهذه هى السمة الأساسية للمجتمع، سواء أكان محافظًا أو تقدميًا هى سيطرة الأب، وشكل العلاقات فيه تكون مرآة لشكل العلاقات بين الأب وأبنائه وبين الحاكم والمحكوم، أى أنها علاقات ذات شكل هرمى تبنى على الطاعة والقمع.

وقبل الخوض فى قضية صراع الرجل والمرأة فى نطاق الأسرة، لابد أولاً من جولة فى المعاجم اللغوية المختلفة فى محاولة لتوضيح كلمة (أسرة). لقد تباين مفهوم كلمة (أسرة) فى اللغات الشرقية والغربية تباينًا من شأنه أن يصل بالكلمة إلى حد التناقض بين اللغتين، ففى المعاجم العربية المختلفة نجد أن (الأسرة) مشتقة من *«من (الأسر) و (الأسر) . لغة . يعنى (القيد)، يقال (أسره) . أسرًا وإسارا : قيده و (أسره) وأخذه أسيرًا»*[4].

فالأصل فى الأسر إذا هو القيد برباط، ولهذا نجد أن *«أسره الله، أى خلقه ومثاله قوله تعالى*﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا٢٨﴾ [الإنسان: 28] *أى خلقهم* ...

---

(1) صوفى حسن أبو طالب: مبادئ تاريخ القانون، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1965م، ص 52.

(2) وهيب إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية فى العصور القديمة، دراسة تاريخية مقارنة، دار المعارف بمصر، 1961م، ص 60.

(3) Good sell, Wigglystine: Ahistory of the familly, as a social and educational institution, The acmill, company, New- York, 1923, p. 42.

(4) ابن منظور الإفريقى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (أسر).

وفى ذات الوقت الذى تعنى فيه كلمة (الأسرة) فى اللغة العربية (القيد) بكل ماله من إيحاءات نفسية مليئة بالعبء والثقل، نلحظ أن كلمة (الأسرة) فى الإسلام لا تحمل هذا المعنى ولهذا لم ترد كلمة (الأسرة) أبدًا بهذا المعنى فى القرآن الكريم، وإنما يستخدم القرآن كلمة (الأهل) بمعنى (الأسرة).

وعلى هذا، فلم يستخدم القرآن كلمة الأسرة لما أوردته من معنى سابق لهذه الكلمة مما يعتبر قيدًا ثقيلاً، يثقل كاهل الإنسان.

وبهذا يكون الإسلام قد عدّل مفهوم (الأسرة) إلى (الأهل) ليجعل الأسرة مسئولية من مسئوليات الإنسان المتعددة، ولكنها مسئولية يقبلها الإنسان عن طواعية ورضا وليست قسرًا أو جبرًا كمطلب عزيز وصولاً بها إلى الراحة والسكينة والطمأنينة. وتعديل القرآن هذا ليناسب الفطرة التى فطر الله عليها البشر تعنى مسئوليات والتزامات ينهض بها الفرد، نحو المجموع، مقابل ما يحصل عليه هذا الفرد من امتيازات.

وإذا تناولنا المعنى الغربى للأسرة نجده ينحصر فى مجرد (الألفة) أو (التعارف) فالأسرة فى الإنجليزية Family وهى مأخوذة من « Familiar أى معروف وشهير ومألوف »[1].

والفرد فى الأسرة الغربية مهما كان نوعه وجنسه، يجد نفسه مضطرًا للارتباط بأسرته، لأن الأسرة تعنى عندهم « *أسر : شد بالسير* »[2] والارتباط فى الأسر الغربية ارتباطًا قهريًا جبريًا، ارتباط مصلحة سرعان ما يتنازل عنه الشخص إذا ظهرت مصلحة جديدة، أو إذا تغيرت الظروف من حوله وهذا الارتباط الأسرى خال من أى عواطف إنسانية أو أى إحساس بالمسئولية.

وهذا بخلاف الأسرة الكبرى فى المجتمع الغربى والتى يمثلها الوطن، فهو الذى يوفر للفرد هذا الأمن ومن ثم يتلاشى دور الأسرة الصغرى فى كيان الوطن أو فى كيان الأسرة الكبرى.

ومثلما وزعت الأدوار على أفراد الأسرة الشرقية وزعت الأدوار نفسها على الأسرة الغربية، على النحو الذى يتفق وفهم الأسرة فى الغرب.

ونتيجة لذلك، رأينا العلاقة بين الرجال والنساء، فى هذه المجتمعات الغربية علاقة محدودة تهدف فقط إلى إنتاج أبناء لخدمة الدولة، وقد يصل تحقيق هذا الهدف فى المجتمع الغربى إلى حد إشاعة النساء من أجل إنتاج الأبناء، وهذا مما حدا ببعض المجتمعات الغربية أن تدعو للبغاء علنًا بحجة أنه مشاع فى البلاد الرأسمالية « *حيث يجد الرجال البرجوازيون لذة فى امتلاك نساء البرولوتارية بل قد يصل بهم الحد إلى إغواء بعضهم لنساء بعض* »[3].

وهذا الفكر هو ما يحاول الغرب به غزو العالم الشرقى، وهو ما ورد فى الكثير من الكتابات الشيوعية الحديثة التى كتبها غير ماركس فتعتبر هذه الكتابات أثرًا مباشرًا للنظام الرأسمالى الحديث، وقد بدأت هذه الآراء فى الشيوع « *إبان الصراع الذى تفجر فى الغرب بين العمال وأصحاب الأعمال سنة 1848م* »[4].

---

(1) The concise Oxford Dictionary, of current English, Edited by: H.W. Fowler and F.G. fowler based on: the Oxford dictionary fourth edition, Revised by: E.M. intosh, Oxford, at the cgaredion press, 1951mp. 428.

(2) المرجع السابق، ص 31.

(3) كارل ماركس: بيان الحزب الشيوعى، دار التقدم ، موسكو، 1968م، ص 62، 63.

(4) لينين: ما العمل، دار التقدم، موسكو، 1967م، ص 133.

فالأسرة فى نظر الإسلام أسمى من أن تكون مجرد وسيلة لإنجاب الأبناء، وأن تقوم على أساس اقتصادى أو سياسى أو مادى فحسب، فهى الخلية الاجتماعية الأولى التى تبنى المجتمع بما تزرعه من الحب والمودة بين الزوجين وما تحققه وتضمنه من قيم إنسانية.

ولنا هنا أن نتساءل: هل يمكن تصنيف السلطة داخل الأسرة الإسلامية على أنها سلطة أبوية بمعنى تسلط الأب وسيطرته سيطرة كاملة على أعضاء الأسرة ؟ لقد أخطأ بعض الباحثين فى علم الاجتماع حين صنفوا الأسرة الإسلامية على أنها أسرة أبوية.

ولو نظرنا إلى الأسرة الإسلامية طبقًا للشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، لوجدنا أن سلطة رب الأسرة تخضع للكثير من الضوابط، والقيود التى تفسح المجال لحرية الزوجة والأبناء فى إطار ما هو مشروع ومسموح به إسلاميًا، فرب الأسرة ليس له سلطة على أبنائه الراشدين سوى التوجيه والنصح فقط.

كذلك له سلطة محدودة فى الإذن بزواج بناته البالغات ؛ لأن شخصية أولاده الراشدين البالغين ذكورًا وإناثًا شخصية حقوقية كاملة سواء فى التعامل الاقتصادى كالمعاملات المالية والبيع والشراء، أو فى التصرف فى الحياة الاجتماعية مثل اختيار نوع العمل وأسلوب الحصول على الرزق الحلال واختيار الزوج أو الزوجة.

وهكذا نستطيع القول بيقين، إن الأسرة الإسلامية العربية لا يمكن تصنيفها ضمن فئة الأسر الأبوية، ذلك لأنها تعد أسرة زوجية أو أسرة حقوقية كاملة، حيث تحدد لكل عضو من أعضاء الأسرة حقوقه وواجباته بحيث تحفظ لكل آدميته وكرامته ومستقبله وحريته فى إطار من الانضباط الشرعى وعدم الاعتداء على حرية وآدمية وكرامة الآخرين.

فقد أثبتت كل تجارب العالم وتطورات الأسرة أن ما جاء به التشريع الإسلامى من مبادئ لتنظيم الأسرة خالد وصحيح ومعجز، حيث أتى الإسلام بنظام معجز فى تنظيم الزواج والرعاية والحضانة والتربية، بحيث رسم صورة زواجية للأسرة تتألف من رجل وامرأة ، لكل منهما شخصية حقوقية كاملة ومستقلة ومن الأولاد القاصرين الذين لهم حقوقهم المؤجل ممارستها.

لقد كان الأب على مر العصور هو المصدر الحيوى للسلطة على نطاق الأسرة، فهو الرئيس لها إلا أن المناخ الاجتماعى المتغير عمل على تغيير بعض العلاقات الداخلية فى الأسرة، ويتمثل هذا من حيث علاقة الأب بالأبناء من جهة وعلاقته بزوجته من جهة أخرى، وإذا كان المجتمع الإنسانى يعد الأب هو صاحب السلطة فى الأسرة فإن هذه القيادة لم تعد فى المستوى نفسه من العنف والتسلط الذى كانت عليه فى الحقب الممتدة التقليدية، وهناك عدة دوافع ساعدت على تقلص دور الأب مثل التطور التكنولوجى والصناعى، وخروج المرأة للعمل ومنافستها للرجل فى كسب عمله اليومى، وارتفاع مستوى التعليم هذا بالإضافة إلى التباين الثقافى واختلاف الطبقة الاجتماعية للأسرة.

فالكثير من المجتمعات تسير فى الوقت الحاضر نحو المساواة فى الحياة، إلا أن كل الجماعات لا تتجه إلى هذه الغاية بنفس المعدل فهناك اختلافات بين القطاعات المختلفة للمجتمع، وبناء على هذا نجد أنماطًا مختلفة للآباء فى كل مجتمع بل وفى كل أسرة، فبينما يحرص كثير من الرجال على أدوارهم التقليدية السلطوية نجد الكثيرين أيضًا يتمتعون بالدور الجديد للأب المهمش.

وعلى الرغم من هذه التغيرات المتعددة فما زال الأب هو العائل الأول لأسرته مع فتح أبواب العمل أمام المرأة و« *تطلعها إلى دور أكثر فعالية فى أسرتها* »[1] بحيث تتحمل جزءًا من مسئولية أسرتها إلى جانب زوجها وهذا فى البيئات المختلفة حتى بين الفئات الفقيرة. فالمتعارف عليه أن تعتمد الزوجة على الزوج من الناحية المادية، والتقاليد المتوارثة تجعل من رئاسة الأب المطلقة للأسرة شيئًا منطقيًا، غير أن هذا الدور لم يعد قاعدة أساسية فى ظل ما يعانيه المجتمع الإنسانى من فقر مادى وأخلاقى ودينى.

فلم يعد دور الأب كما كان يتمثل فى مجرد السلطة الأبوية وفرض السيطرة على أفراد عائلته، وإنما تقلص هذا الدور من ناحية واكتسب صفات جديدة من ناحية أخرى فهو كأب بيولوجى فارض للنظام وعائل لأسرته أصبح لا يتمتع بهذا الدور بمفرده، وإنما نلحظ أيضًا تصاعد دور الأم الإيجابى فى ذلك وأما ما اكتسبه من صفات جديدة فرضها عليه التطور والتمدين فهو يمارس الآن بعض سلوكيات الأم من حيث مشاركة الأطفال حياتهم، وفهم مشاعرهم والتعاطف معها، كما يقوم بدور إيجابى فى التربية والرعاية، وفى هذا الإطار زاد اهتمام الآباء بقراءة الكتب التى تساعدهم على فهم تصرفات أطفالهم، ولا مانع إذا امتد دورهم لأبعد من ذلك من حيث الاهتمام بملابس الأبناء ونظافتهم وإعداد الطعام لهم.

وبهذا لم يعد المنزل هو المكان المفضل لراحة الأب، وإنما أصبح مكانًا للحياة المشتركة، فالتجديد الذى طرأ على تقسيم العمل تبعًا للجنس جعل سلطة الأب تنهار إلى حد كبير، وهذا لا يرجع إلى مجرد التحاق الأم أو المرأة المتزوجة بالعمل، ولكنه يرجع إلى امتهان النساء للمهن المربحة هذه المهن التى كانت فيما مضى حكرًا على الرجال، هذا بالإضافة إلى تسلل الكثير من الرجال للمهن الأنثوية لدرجة بات معها من الصعب فى الوقت الحالى أن نجد مهنة قاصرة على جنس واحد. ونتيجة هذا التحول فى تقسيم العمل اندثر المفهوم التقليدى القديم عن عمل الرجل وعمل المرأة ومع ما فى هذا التغير من إيجابية، إلا أنه أدى إلى زيادة حدة الصراع بين الجنسين.

ولقد تباين دور الأب ودور الأم عما كان عليه فى الماضى، إذ لم يعد للأب الحق المطلق فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة، فلابد من مشاركة الأم والأبناء أيضًا فى هذه القرارات، إلا أن الكثير من الآباء يظنون أن لهم الحق الطبيعى فى التعبير عن رأى الأسرة . كأن يقال: « *إذا اختلف الزوجان فى أمر من الأمور فإن رأى الزوج هو الجدير بالأخذ به لأنه الذكر وله الكلمة الأخيرة والحق فى اتخاذ القرار* »[2]؛ ومثل هذا الموقف يعكس الاتجاهات التقليدية بصورة واضحة، إلا أن هذه السطوة الذكورية لا تجد قبولاً عند كثير من الزوجات فى الوقت الحاضر. والدور الرئيسى للأب حتى فى أكثر المجتمعات تقدمًا، ما زال يتم خارج نطاق المنزل باعتباره عائلاً لأسرته ومسئولاً عن الإنفاق عليها، وتفوق هذه الوظيفة أى وظيفة أخرى مثل دوره كزوج أو كأب.

وبذلك يكون الأب فى حاجة إلى التلاؤم مع واقعه الجديد وهو بروز المنافسة بين الجنسين واضمحلال آراء الأسلاف، فالاتجاه المعاصر يذهب إلى عدم وجود رئيس مطلق للأسرة، إنما المسألة متبادلة بين الأب والأم والأبناء فى أحيان أخرى. على أن خصائص العمل الذى يقوم به الأب فى البناء المهنى له تأثيرات عميقة

---

(1) سناء الخولى: الأسرة فى عالم متغير، الهيئة العامة للكتاب، بيروت، 1974م، ص151.

(2) الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة، ص 29.

على مختلف أدواره الزوجية والأبوية فهو يضع الاهتمام بأسرته فى المقدمة ومصلحة الأسرة تجعله يضع دوره المهنى فى المقدمة.

ومن هنا، فإن المناخ الاجتماعى أصبح يحتم أن يتعاون الرجال مع النساء على قدم المساواة، وإن فرضت التقاليد عليه فى بعض الأوقات أن يتحمل وحده المسئولية.

وخلاصة هذا، أن إحداث أى تغيرات فى عالم الأمومة تصاحبها بالضرورة تغيرات فى عالم الأبوة. فالعالمان يمران الآن فى مرحلة تحول ولم تتبلور حتى الآن نتيجة ما يواجهانه من التغيرات.

الأب رمزًا للسلطة السياسية:

ما دام الأب يولد من رحم المجتمع، بمعنى أنه انعكاس للوضع الاجتماعى، فهو بهذا المفهوم يعد خلقًا اجتماعيًا بحتًا. ومن ثم، كان من الضرورى التعرف على دور الأب، وطبيعة العلاقة بينه وبين السلطة أو ما يعرف بالضبط الاجتماعى، من خلال تناول الروائيين العرب له فى أعمالهم الإبداعية فى النصف الثانى من القرن العشرين.

إن كاتب الرواية السياسية ليس منتميّا - بالضرورة - إلى حزب من الأحزاب السياسية، لكنه صاحب أيديولوجيا أو موقف سياسى، يريد أن يقنع به قارئه بشكل صريح أو ضمنى. وهنا يدخل الكاتب مع قارئه الذى قد لا يكون متفقاً معه فى الرأى أو مؤمناً بما يطرح من وجهات نظر، فى تحدٍ صعب؛ إذ كيف يقنع الروائى من يختلف معه سياسيًا فيما يعتقد إنه الصواب. ويزيد من هذه الصعوبة أن الروائى صاحب الرؤية المستنيرة يدرك أن كاتب الرواية السياسية مطالب بأن يشكل رواية جيدة فنياً، بالإضافة إلى تقديم رؤية سياسية، تتلاءم مع أهداف المجتمع، وطموح الشرائح التقدمية من أبنائه.

ومعنى ذلك، أن الرواية السياسية عبارة عن رواية فنية مثلها مثل أيٍّ من الروايات ذات الموضوعات الأخرى. وتلتزم فى بنائها بعناصر التشكيل الروائى الفنى، غير أنها تتضمن وجهة نظر سياسية تعبر عن قضية رئيسية فيها.

ومعنى هذا أن الرواية السياسية يجب عليها أن تتناول دراسة مختلف القضايا السياسية، ومناقشة أزمات الطبقة الاجتماعية؛ حتى تبرز الأزمة من كل جوانبها «*فلا ينبغى أن تُتَجاهل طبقةٌ من طبقات المجتمع،فالفن ينبغى أن يكون لكل الطبقات... وعلى هذا فحصر الرواية السياسية فى شخصيات من الطبقة الحاكمة، أو فى شخصيات من أى طبقة أخرى، لا يقدم للمتلقى أدباً واقعياً*»[1]. ومن ثم فهى لا تقف عند حد معين فى معالجتها للقضايا الوطنية. ولهذا لا ينحصر تعريفها فى موضوع بعينه، كما ورد فى تعريف بعض النقاد لها، وإنما تشمل الموضوعات الوطنية جميعاً فالرواية التى يتمكن كاتبها من تقديم رؤيته السياسية لقضية من قضايا الواقع السياسى، من خلال معالجة فنية هى رواية سياسية.

إن الرواية بدون مضمون فكرى وسياسى تصبح شكلاً زخرفياً بلا محتوى، والذين ينادون بتجاهل الرواية للموضوعات السياسية إنما يحكمون على الرواية بالإفلاس وضياع المضمون والتردى في التكرار وعدم

---

(1) حمدى حسين: الرؤية السياسية فى الرواية الواقعية فى مصر من 1965-1975م، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1994م، ص19.

الفاعلية، «*فالرواية المكتوبة لها طاقاتها وتطوراتها. وقد اتخذت مكان الصدارة فى الأشكال الأدبية عالميًا وعربيًا لأنها الوعاء الأنسب للمرحلة التاريخية التى نجتازها اليوم*»[1].

وعلى هذا تعد السياسة محوراً فكرياً من أهم العناصر التى تعتمد عليها الرواية المعاصرة و«*أيا ما كان نوع الإطار الاجتماعى الذى تكشَّف عنه عالم رواية اليوم، فإن الذى لا مراء فيه... هو هذه الظاهرة الأدبية اللافتة وهى اقتحام السياسة البارز، وتمكنها من أن تشغل حيزاً واضحاً داخل بنية الرواية*»[2].

ونقاد علم (اجتماع الأدب) الذين اهتموا كثيراً بنقد الرواية من زاوية علاقتها بالمجتمع، يرون أن الرواية قادرة على تقديم رؤية سياسية، بيد أن هذه الرؤية (فردية) إلى حد ما. ذلك أن «*الملحمة القديمة تعكس رؤية شمولية للحياة بينما الرواية –ملحمة البرجوازية فى العصر الحديث– تظهر الفجوة بين الفرد والعالم، وتفترض واقعاً نثرياً، مبعثراً، يظهر انشقاق الذات واغترابها عن المجتمع*»[3].

ويشير الكاتب الألمانى (جوته) إلى أن الرواية الحديثة بوصفها ملحمة ذاتية، يتوجب على الكاتب فيها أن يصوِّر العالم بطريقته، وإذا كانت لديه طريقة خاصة فى رؤية العالم أو وجهة نظر فى السياسة، فإن ذلك يأتى من تلقاء نفسه، بعد أن يكون قد شكل العناصر الرئيسية لعمله الأدبى.

ولقد تجلت صورة الأب فى الروايات العربية بأشكال ورموز مختلفة، سواء كرمز للسلطة السياسية، أو بوصفه رمزًا للقوى الدينية أو حال كونه ربًا للأسرة، ولقد قام الروائيون العرب على اختلاف رؤاهم، بتناول هذه الأنماط المتباينة فى أعمالهم الفنية مازجين بين هذه الأنماط وبين الواقع؛ وذلك لأن المنظور الفنى واضح وضوح رؤيتهم لجوانب العلاقات الاجتماعية التى تجمع بين النماذج البشرية.

والدراسات المعاصرة تفترض وجود تفاعل وتأثر بين طبيعة الطبقات البشرية ووظائفها الاجتماعية والفنية من خلال وجودها فى وحدات اجتماعية مستقلة. وبالتالى ثمة علاقة وطيدة بين حياة الرجل بوصفه ربًا للأسرة وبوصفه رمزًا للسلطة السياسية فى مجتمعه.

وهذه الدراسة تتناول بعض الأعمال التى ظهر فيها الأب بوصفه تجسيداً للسلطة السياسية، سواء بسواء فى عدالتها أو تعسفها أو انحرافها.

النظام السياسى والأسرة وسلطة الأب فى الرواية العربية

لابد أن تعتمد الحياة الإنسانية على قدر من التنظيم حتى تحقق شيئاً ذا قيمة، وإلا كانت مجرد عبث لا معنى له.

ومن البدهى أن انعدام النظام يدفع البشر للفوضى، وهذا التنظيم يحتاج إلى سلطة منظمة تخضع لها الجماعة. «*إذا لا يمكن تصور المجتمع السياسى بغير سلطة حاكمة تنظمه وتضع له القواعد*»[4].

وعلى هذا فالنظام السياسى «*يفترض حتماً وجود سلطة تتولى إدارة الجماعة وتُسير شؤونها*»[5]. وقد

---

(1) عزيز ماضى: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية، (المقدمة) بقلم سهير القلماوى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، يونيه 1978م، ص7.
(2) طه وادى: دراسات فى نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص223.
(3) طه وادى: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، 1996م، ص10.
(4) إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية، مكتبة مدبولى، ط3، 1997م، ص52.
(5) ثروت بدوى: النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986م، ص12.

ذهب أرسطو إلى أن السلطة أنواع منها:

- السلطة السياسية: وهى المتعلقة بشئون الحكم.

- والسلطة الأبوية: المتمثلة فى علاقة الأب بأبنائه، وسلطته على زوجته، وهى تعنى ما يملكه الزوج على زوجته من سلطات من ناحية، وعلى أبنائه من سلطات من ناحية أخرى. وأخيراً سلطة السيد على عبيده.

كما ذهب أيضاً إلى أن الأسرة، هى النواة الأولى فى بناء المجتمع، وهى ما يسميها بنظرية التطور العائلى المؤدى إلى نشأة الدولة، فالأفراد يعيشون فى أسر منعزلة ماداموا لا يشعرون بالحاجة إلى إشباع رغبات جديدة، حيث إن الأسرة كفيلة بإشباع الحاجات الضرورية لأبنائها.

وبما أن الأسرة هى نواة المجتمع فعلينا الآن تحليل دور الأب من منظور سياسى يبرز دوره بوصفه القائد لجماعته.

ولا شك إن النظام يحتاج إلى سلطة منظمة يخضع لها الأفراد، إذ لا يمكن تصور المجتمع الأسرى بغير سلطة حاكمة تنظمه، وتضع له القواعد. فالنظام السياسى يفترض حتماً وجود سلطة تتولى إدارة الجماعة وتسير شئون الأسرة. وهكذا ينشأ المجتمع المثالى. ولما كانت صورة الأب القائد للأسرة تختلف عن صورة حاكم الدولة، حيث يتقيد الحاكم بقانون يوجهه، أما الأب فتوجهه الأعراف والتقاليد، وهى التى تحكم تصرفاته. وإذا كان من حق الشعب الثورة على الحاكم وعدم انتخابه بل وعزله من منصبه، فليس من حق الأسرة القيام بالأمر نفسه تجاه عائلها، فالأديان تدعو إلى الطاعة الكاملة له وإلى معاملته بالحسنى وإن يكن على دين مخالف لأسرته. وإن حدث رفض من الآخر لشخصية الأب فى إطار الثورة والتنكر له، فإن المجتمع ينكر هذا التصرف ويعده شذوذاً على مستوى اجتماعه البشرى عامة، وعلى مستوى المجتمع العربى على وجه الخصوص. وحيث إن الفترة التى يدرسها البحث تنحصر فى النصف الثانى من القرن العشرين، وهى مرحلة حرجة فى تاريخ الوطن العربى عامة على المستوى السياسى، فمن الضرورى أولاً أن نناقش أهم التطورات السياسية العالمية وتجلياتها المحلية المؤثرة فى المنطقة العربية.

ونتيجة لذلك، تجاوزت صورة الأب فى الرواية العربية كونها حقيقة موضوعية قائمة بذاتها، وعمدت إلى طرح إشارات تفرض على الناقد إعادة تفسيرها سيميولوجيا، أو على الأقل كنائيا، تفسيراً يتجاوز كل توصيف مباشر أو ظاهر فى العبارات التقريرية. ولست أدرى إلى أى حد يمكن قبول التأويلات التى يفرضها . عادة . فضاء النصوص التى تعطى للعبارات اللغوية أبعاداً للتفاعل بين الكاتب ومفردات الواقع. وقد تكون الإشارة رمزًا، إلا أنه الرمز الذى يهّوم أكثر مما يدل.

وعند تأمل القضايا التى كان الأب محورها - فى الروايات العربية فى النصف الثانى من القرن العشرين- يبرز فيها تولد إيحاءات تثرى العلاقة بين المدلول المباشر وما يخفيه من توجيهات يفرضها السياق خارج النص بقدر ما يتحقق فى داخله.

ومن ثم فإن التوجه إلى تحليل الإشارات النصية أمر يقتضيه الدرس النقدى، بشرط عد هذه الإشارات علامة Sign أو رمز.

وقد ظفرت الرواية من ذلك بإمكانية التعبير الجديد عن أى مضمون يلاحق متغيرات الحضارة الحديثة وفلسفاتها، وتمكنت بهذا التوجه من تقديم نماذج لإنسان هذا العصر، راصدة إيقاع حياته الداخلية ومبرزة الزمن النفسى؛ « *ومن ثم حفلت الرواية الحديثة بكثير من الشخصيات التى تمتاز بتكوينات نفسية كان الرمز ملائماً*

للكشف عن عوالمها المعقدة. وقد جاء تكنيك الرواية الرمزية متأثراً بما ساد ذلك العصر من اضطراب وتوتر، فالنهايات فى كثير من الروايات ليست محددة أو حاسمة بل تظل المصائر معلقة وغير واضحة»[1]**،وإذا بحثنا عن بدايات المجاز فى الرواية العربية وجدنا أنه بدأ رمزًا، حيث إنها كانت استجابة فنية لطبيعة الحياة العربية وللمتطلبات الحضارية، فقد كانت نابعة من إدراك الروائيين لقضايا أمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.**

أما فيما يختص بصورة الأب ودلالاتها الرمزية، فقد خصه كثير من الروائيين العرب بالتحليل الفنى الموسع، فى إطار البنى الحكائية متعددة الأبعاد بوصفه معادلاً فنياً فى كثير من جوانب الرواية، فتصبح بهذا التوظيف شخصية متجاوبة مع ما يطرحه المؤلف من قضايا وطنية ودينية وسياسية.

وقد يمنح الروائى شخصية الأب فى روايته عدة رموز وإشارات تثرى رواياته بإيحاءات تهز قراءه مرة بعد مرة مع كل قراءة جديدة، ولا تزال تهزهم. وهنا ينبغى القول إن شخصية الأب لعبت دوراً مهماً وبارزاً فى الرواية العربية، واكتست كثيراً من الدلالات التى جعلت منه أحياناً مناط دلالات إنسانية مؤثرة وفاعلة على مستوى الواجب المكلف به.

فلسفة الرؤية السياسية

على الرغم مما قام به الروائيون العرب فى الكشف عن الواقع السياسى، إلا أنهم لم يستطيعوا إبراز كل التناقضات السياسية في المجتمع العربى، ذلك لأنهم واجهوا نوعاً من خنق الحريات، وانعدام العدالة الفكرية، ومن ثم الاعتقال، والتعذيب الذى يفضى إلى الموت، وتلك قضية سياسية عانى منها الأديب فى العصر الحاضر، حيث ظهرت هذه المعاناة جلية فى عصر تصارعت فيه الأيديولوجيات السياسية ولهذا «*فمن أخطر أزمات الفنان المعاصر، أنه يعانى أكثر من أى وقت مضى مشكلة التعبير عن موقفه، إزاء المجتمع الذى يعيشه، رغم أن هذه الأزمة ليست وليدة اليوم، فقد ظل الفن – على مدى العصور – محاطاً بأسلاك شائكة من السلطات أو الشعوب أو العقائد، أو ثلاثتها جميعاً إلا أن العصر الحديث، قد ورث خبرات كل ما سبقه من عصور فى الوقوف من حرية التعبير موقفاً معوقاً لرسالة الفن الحقيقية*»[2].

وبذلك فإن العلاقة بين الفنان والنظام السياسى علاقة تتسم بالمخاطرة، والقلق المستمر من تعبير الفنان عن رأيه، ونقده النظام بصورة تجعله يفرض قيوده على أفكاره، محدداً إمكاناته داخل المجتمع، فإذا غالى الأديب بعض الشئ فى الجهر بوجهة نظره إما أن يوضع فى أحد السجون أو أن يكون من المبعدين.

ولهذا السبب جنح بعض الروائيين العرب إلى التفلسف فى الرواية، أى التقنع بأفكار فلسفية عميقة، قد لا تكون واضحة للقارئ، وهو الاتجاه الذى شاع تسميته بالرواية (اليسارية)، التى يصعب من خلالها رصد صورة حقيقية للأب بوصفها مقومًا أساسيًا فى بناء العمل الروائى. ومثل هؤلاء الكتاب يكون المنحى السياسى هو شغلهم الشاغل، ولكنهم يلجأون للترميز الذى يهوم أكثر مما يعبر عن آرائهم الذهنية.

ومن هؤلاء الكتاب (صنع الله إبراهيم)، الذى يعتبر الشخصية السياسية من أهم الأهداف التى يسعى إلى تصويرها فى أعماله الروائية، حيث ظهر تأثيرها على مجمل تقنياتها الفنية، ولهذا كان لابد من تحديد موقفه المذهبى منها؛ وذلك لأن تحديد الاتجاه السياسى لأى كاتب «*أمر حيوى للغاية فى الحديث عن تطوره*

---

(1) فاطمة الزهراء: العناصر الرمزية فى القصة القصيرة، دار نهضة مصر، 1984م، ص31.
(2) غالى شكرى، معنى المأساة فى الرواية العربية، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، لبنان، ص111.

الفنى. فعقيدة الكاتب – بشكل أو بآخر- تتدخل فى صوغ شخصياته وحبكته»[1].

ولما كان صنع الله إبراهيم أحد الأدباء الذين انحازوا إلى قضايا الطبقات الدنيا فكراً وسلوكاً، وعمل على التبشير بها، لتسيطر على الأنظمة السياسية والاجتماعية، فقد اتهم بالشيوعية.

ويتضح ذلك من رواياته المتعددة مثل (اللجنة) و(تلك الرائحة) فهما روايتان تسلكان الدرب الفلسفى الذهنى، ونلحظ أنه لا تظهر فى أى منهما صورة للأب، بل لم تظهر فيهما صورة لأسرة متكاملة. إن رواية (اللجنة) مثلاً تدور حول بطل مجهول الاسم من أولها إلى آخرها. وفيها يذهب هذا البطل المجهول إلى مقر (لجنة) لا نعرف عنها شيئاً. وأمام هذه اللجنة المجهولة أيضاً يأخذ فى الغناء والرقص. ولتكتمل هزلية الحدث يقوم أحد أعضاء اللجنة بسؤاله عدداً من الأسئلة الجنسية الصريحة، كما يسأله عن الثورة وعن الاشتراكية. وأخيراً يسأله أحدهم عن اختفائه المفاجئ فى أحد الأعوام «*أننا نعرف من الأوراق التى أمامنا كل شئ تقريباً عنك. لكن هناك شيئاً واحداً مازلنا نجهله، وهو أين كنت فى ذلك العام؟*»[2] ويخبرهم أنه كان فى السجن.

ثم يطلبون منه أن يكتب بحثاً عن شئ يختاره؛ فيكتب بحثاً عن (الكوكاكولا) ويقول فى مقدمته «*لن نجد أيها السادة بين كل ما ذكرت شيئاً تتجسد فيه حضارة هذا القرن ومنجزاته بل آفاقه، أنها موجودة فى كل مكان تقريباً من فنلندة وألاسكا فى الشمال إلى أستراليا وجنوب أفريقيا فى الجنوب، وفى الوقت الذى تختلف فيه كلمات الله والحب والسعادة من بلد إلى آخر، ومن لغة إلى غيرها، تعنى الكوكاكولا نفس الشئ فى كل مكان، وبكافة اللغات*»[3].

وعلى هذه الشاكلة تستمر أحداث الرواية، دون أن نلمح أى دور للأب. ومن ثم يمكن القول: إن هذا النوع من الروايات خرج عن المألوف، حيث تابعت الرواية العربية المعاصرة تطورها، وبحثها عن وسائل معالجة تعكس من خلالها عمليات التغيير الجذرية والمستمرة فى المجتمع، ومن هذا أن لجأ الكتاب لخيارات فنية متنوعة، والتى منها – على سبيل المثال- عرض أو إبراز وجهات نظرهم، أو إلغاؤها نهائياً، وكذلك استخدام أساليب بنائية مختلفة عن المألوف فى الرواية كأن يسعون إلى تهشيم التسلسل الزمنى فى أحداثها.

أننا نتابع فى رواية صنع الله إبراهيم أبنية فنية رفعية المستوى، متداخلة الأزمنة متعددة التشكيل، ففيها وقائع من التاريخين القديم والحديث، ونصوص حقيقية تسجل بعض ما يحدث لنا وحولنا، لنكشف عن ملامح التردى والانهيار والتفسخ الذى ينخر فى قلب الأوضاع العربية الراهنة. وإذا كانت أحداث الرواية تخلو من وجود صريح لشخصية الأب، فإن أعضاء اللجنة والبطل جميعاً هم آباء محتملون. ومن هذه الوجهة يمكن القول: إن اللعبة السياسية قسمت الآباء إلى صنفين، صنف متهم، ويتحرك دائمًا فى حدود أوامر عليا، أو رؤية سياسية غير واضحة أو غير مفهومة بالنسبة له. وقسم يمثل تلك السياسة، أو القانون الذى يحرك الآخرين، ومن ثم يمكن القول، إن أثر مثل هذه الأوضاع السياسية تجلى فى اختفاء الأنماط التقليدية من شخصيات المجتمع، وفى مقدمتها شخصية الأب وصورته بالطبع . بتأثير هذه الأوضاع . هى صورة مهمومة، ليس لها ملامح محددة، حتى أنها مجهولة الاسم. وكل ما يبرز فيها هو الرقص أو الاستعراض أمام ألعاب السياسة.

---

(1) رينيه ويلك، وأوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيى الدين صبحى، المجلس الأعلى للفنون والآداب، القاهرة، ط3 ، ص 267.

(2) صنع الله إبراهيم: اللجنة، دار المستقبل العربى، القاهرة، 1997م، ص16.

(3) اللجنة، ص20.

ومن الروائيين العرب الذين حملوا على عاتقهم مسئولية تطوير وتحديث الشكل الفنى للرواية (عبد الرحمن مُنيف). وقد ساعده على ذلك اطلاعه على التجارب الروائية التى ظهرت فى البلاد العربية منذ بدايات هذا القرن. وكانت الإفادة الحقيقية هى تجنب الأخطاء التى وقع فيها روائيو هذه المرحلة، من حيث التركيز على الوعظ والإرشاد، والاسترسال السردى، أو المذكرات أو الرسائل وأدب الاعترافات، إلى جانب تلك الشطحات الرومانسية المتمثلة فى الهجوم المباشر على عيوب المجتمع ومحاولة إصلاحها، واعتبارها أخطاء، ذلك أن ميدان الأدب تحكمه عوامل جمالية وتشكيلية، لا تسمح بكل هذه الأعباء التى تختص بها ميادين أخرى فى الحياة. هذا إلى جانب إفادة (عبد الرحمن منيف) من الأعمال الأدبية العالمية سواء فى لغتها الأم أو المترجمات منها، فقد قرأ لبلزاك، وفلوبير، وتولستوى. ويتضح هذا من خلال قراءة روايته (قصة حب مجوسية) فهى رواية تعكس مدى «*صورة منيف البعثية فى السرد المستعار، وهى صورة البعثى اليسارى*»[1] وهى كذلك رواية لم تظهر فيها أى صورة للأب من قريب أو من بعيد.

وكذلك روايته (شرق المتوسط) التى تعبر عن شكوك المثقفين فى الثورات السياسية، فهذه الشكوك صنعت بين المثقفين والسلطة السياسية بأشكالها المختلفة، فجوة قائمة؛ أدت إلى أن مال المثقفون إلى الاتجاهات، الفكرية اليسارية، وهى الاتجاهات التى تعارض الديكتاتورية وتميل إلى إعلاء حرية الفرد، ونتيجة هذا الشد والجذب بين المثقفين والسلطة –كجزء من الألعاب السياسية– نشأت مؤسسات ثقافية ترعاها الدولة. وقد شارك فيها قطاع لا بأس به من المثقفين. ولكن كثيراً منهم ظل ملتزماً الصمت أمام الممارسات السياسية المتسلطة. لأنه لم يكن متاحاً وقتها سوى الصمت. أما من فضل التعبير عن رأيه بوضوح فإما أن يتم نفيه بطريقة أو بأخرى إذا كان ناقدًا للسلطة، وإما أن تجرى عليه تحولات ما تجعله يقع فجأة فى هوى السلطة فيندمج فيها، بل وقد يصبح من كبار المنظرين لها. وهذا ما حدث لـ (رجب) بطل الرواية فى شرق المتوسط حيث سجن وأصيب بمرض نفسى. وهو ابن فقد والديه فى بداية الرواية عندما كان صغيراً، وفى شبابه انخرط فى إحدى التنظيمات التى أفقدته أهليته بعد السجن. إن شخصية الأب تختفى من رواية منيف وليس معنى ذلك أن الكاتب ينقل دور البطولة للابن ذلك أن (رجب) لم يكن بطلاً محورياً بقدر ما طغت الحوادث السياسية والاضطرابات فى منطقة الشرق الأوسط على أحداث الرواية، الأمر الذى جعل الكاتب يؤطر المكان ويجعله البطل الحقيقى لروايته. ونفس الشئ نجده فى ملحمته الروائية (مدن الملح) فهى تعرض تاريخاً وجدانياً إبداعياً عميقاً لنشأة وتطور تناقضات ظاهرة من أخطر الظواهر الحداثية، التى أخذت تشكل عاملاً من أبرز عوامل التخلف والتبعية العربية، وأن يكن هذا العامل من المفروض أن يكون عاملاً من عوامل التحرر والتقدم، وأقصد به ظهور النفط فى الوطن العربى.

فمنيف إذن لم يركز على ظواهر معتادة فى نسج رواياته، بل إنه يتخلى عن البطل العاقل إلى تمثل آخر غير عاقل. وقد حرص على تصوير هذا القطاع بالذات من المجتمع العربى حتى ينقل الرواية العربية إلى مواقع لم تستكشفها من قبل. وهذا ما اتبعه أيضاً فى روايته (النهايات) حيث يركز السرد الروائى بشكل أساسى على تصوير الصعوبات الكامنة فى الحياة الصحراوية القاسية، التى يواجهها ذلك المجتمع بشكل مستمر. وهذا الطراز السردى يوضح أنه إذا كان هنالك بطل رئيسى فى هذا العمل فهو مجتمع القرية ككل.

والرواية رمز سياسى عن القساوة التى يعانيها الوطن العربى، فما القرية إلا الوطن. ونتيجة لذلك فإن

---

(1) جبرا إبراهيم جبرا: عبد الرحمن منيف سياسيًا، جريدة الحياة، آداب وفنون، الأحد 25 كانون الثانى (يناير) 2004م، العدد 14913.

الرواية حين تعكس رؤية تقدمية للواقع، تعد بدورها ممارسة سياسية بمعنى من المعانى، فالكاتب العربى يصارع على أكثر من مستوى،إنه يصارع باعتباره داعية سياسيًا ومرشداً إنسانياً، كما يصارع من أجل إبداع فن يحمل هوية خاصة لا يقل شأنا عن الآداب العالمية الأخرى.

وهذه القرية تعتمد فى عيشها على الصيد الذى يعتبر أحد السبل الرئيسية لتأمين سبل المعيشة فى هذا المجتمع، غير أن الأفراد الأكثر تعقلاً فيه يحذرون من أن قتل الطيور والحيوانات دون تميز لن يكون فى مصلحة سكان القرية.

وعلى الرغم من أن الرواية تصور أفعال الأفراد من خلال المكان، غير أن الأثر الذى تحدثه هذه الأفعال إنما يُرى ضمن الصورة الكلية، أى صورة القرية كوحدة متكاملة. وأى رسم للشخصيات إنما ينبع من خلال وصف أفعالهم هذه واثر هذه الأفعال على القرية. وعبد الرحمن منيف لا يرسم الشخصيات عن طريق تحليل دوافعها الداخلية، فالقارئ فى هذه الرواية لن يتعرف إلا على أسماء أربعة شخصيات فقط. والقرية التى تدور فيها أحداث الرواية اسمها (الطيبة) على أطراف الصحراء.

هذه إذن رواية تركز على الجماعة ككل وعلى البيئة، غير أنها ما تلبث أن تستدرج القارئ، إلى سلسلة محددة من الأحداث التى تؤكد على موضوع البيئة. والطريقة التى تتم بها رواية عدد من المشاهد الارتجاعية، التى تعيد إلى الأذهان مناسبات هامة سابقة فى تاريخ القرية توفر للرواية عناصر معينة من القصص الشعبى، وهو أمر يلائم جو الرواية تمامًا. ولهذه الرواية بطل فى واقع الأمر، إلا أنه يمثل نمطاً لشخصية غير مألوفة فى القصة العربية، خصوصًا على النحو الذى يصفه به الراوى. هذا البطل هو (عساف). وهو إنسان وحيد، صامت. غير أن الأهم هو أنه معروف بأنه مقاتل متعصب لقضية المحافظة على البيئة التى يعيش ضمن نطاقها. ويعتبر (عساف) أمهر صياد فى المنطقة، كما أن له القدرة على تحمل أصعب ظروف الطقس المتقلب. غير أن علاقته بأهل القرية مضطربة، والسبب هو إلحاح عساف على تحذير أبناء قريته وتحذير زوارهم من الإفراط فى الصيد، حفاظاً على الحيوانات من الانقراض، إلا أن تحذيراته وآراءه –دائمًا– تذهب هباء، فلا تجد آذانًا مصغية، بل أنها تزيد فى استعداء أهل القرية على شخصيته.

وتأتى المفارقة إذن، حين يصل عدد من الضيوف لزيارة القرية بهدف الخروج فى رحلة قنص. ولأن الجو كان عاصفاً وتضاءلت فيه فرص الصيد؛ فقد فقرر الضيوف اصطحاب عساف معهم، فهو الأقدر على تحديد أماكن تجمع الطيور فى مثل هذا اليوم العاصف. وعساف المحب للبيئة، الكاره للصيد الجائر– أمام هذا الجو العاصف– خرج معهم على مضض مصطحباً معه صديقه الأوفي؛ كلبة الأعور. وفي الرحلة يثبت عساف قدرته الفائقة على الصيد، ويظهر هذا من نتيجة رحلة الصيد، فبينما لم يصد الزوار أكثر من خمسة طيور، استطاع عساف وحده أن يصيد أكثر من عشرين طائراً.

وفى أثناء رحلة الصيد تهب عاصفة رملية هائلة تحاصرهم جميعاً، وتصوير هذه العاصفة سواء من جوانبها الإنسانية أو الطبيعية، إنما يعكس صورة نابضة بالحياة لمجتمع الصحراء القاسي بأقصى الدرجات الممكنة، ضمن عمل ملئ بوصف يجسد مظاهر الحياة فى هذا المكان. وُتحَاصَر المجموعة كلها داخل العاصفة، وحين تصل النجدة لإنقاذهم يكون عساف قد فارق الحياة، فقد عثروا عليه شبه مدفون فى الرمال وكلبه جاثم فوقه ليحميه من الطيور الجارحة التى كانت تحوم حول جثته، وقد فارق الحياة هو الآخر.

ويمكن القول إن (عبد الرحمن منيف) يعالج فى هذه الرواية من منظور سياسى قساوة الحياة فى المجتمع العربى، وإن تكن معالجة تتخذ شكل الانحياز لقضية بعيدة عن الصراعات السياسية المعتادة.

« إنه القحط... القحط مرة أخرى! وفى مواسم القحط تتغير الحياة والأشياء ... حتى البشر يتغيرون... وطباعهم تتغير، تتولد فى النفوس أحزان تبدو غامضة أول الأمر، لكن لحظات الغضب التى كثيراً ما تتكرر، تفجرها بسرعة »[1].

إن الرواية كما ذكرت لا تعبر عن أفراد، بل إنها ومضة لمجتمع القرية كله فى صراعه المستمر مع قوى الطبيعة، وهو صراع يبدو وكأنه صراع يائس. ويصبح الأمر أكثر وضوحاً حين نتأمل عميقاً فى الهيئة التى يتخذها هذا العمل الأدبى، فالجزء الأول من الرواية خصص لوصف القرية وما يحيط بها وبسكانها ومشاكلها التى تستمر على مدار السنة، فى سبيل تأمين أدنى مستلزمات المعيشة. وفى الجزء الثانى تبدأ شخصياتها فى اتخاذ ملامحها، فنتعرف على الميزة التى يتوارثها الأبناء عن الآباء. وهى التى تجعلهم فى نظر الكثيرين نوعاً خاصاً من الناس، وتجعلهم أكثر من ذلك قادرين على التأثير فى الآخرين. أما الجزء الثالث فيعود لتصوير القرية مرة أخرى*«الطيبة بداية الصحراء.. أما من ناحية الجنوب فكانت الأرض تشحب تدريجياً وتخالطها الحجارة الكلسية، وتبدأ تقفز ذراعاً بعد آخر حتى تتحول فى بداية الأفق إلى كثبان رملية.. وبعد ذلك تبدأ الصحراء »*[2].

« وليس غريبًا أن يتخذ موت (عساف) كل تلك الأبعاد التى حولت موته إلى عملية تطهير جماعى لمجتمع القرية »[3]، فعساف هو الذى كثيراً ما حذرهم من عشوائية الصيد، ولقد بلغت ردة الفعل العاطفى إزاء هذا الحدث درجة من الحدة، حتى إن نساء القرية اللاتى لم نسمع عنهن أى شئ طوال الرواية يظهرن أمام قبر عساف؛ حيث يغنين ندباً حزيناً ويؤدين حركات راقصة أشبه بالطقس الجمعى *« وكل ذلك كان يجرى دون اعتراض من الرجال أو التدخل»*[4] كما يبلغنا الراوى. وحين يعود الجميع إلى القرية نستشعر تصميماً جديدًا على التجديد. وعلى أثر ذلك سافر عدد من رجال القرية للمدينة لكى يعرضوا على المسئولين فكرة إقامة السد الترابى الذى يحول دون العواصف الرملية. ولكى *« تبدأ الطيبة تعرف معنى الحياة بدل هذا الموت الذى تعيشه كل يوم»*[5].

إن ثقة عبد الرحمن منيف بجدوى الرواية تدفعه إلى التخلى عن البيئة المعتادة للرواية، بحثاً عن مغزى فلسفى، وهو ما أدى إلى ضمور شخصية الأب فى رواياته سعياً وراء تحليل البطل الميتافيزيقي من منظور فلسفي.

فالمحنة المطروحة ليست محنة خيار بين الشخصيات، بل هى محنة التجدد والتعبير الأدق، إذ كيف يقدر أن يعبر عما يجول فى نفسه؟ ذلك أن الرواية التقليدية ليست قادرة على مواجهة الضغوط الحياتية الجديدة، فهى أضعف من أن تحتضن هذه التحديات والضغوط. وإذا كان تركيبها البنائى المنظم يعكس هيكلاً اجتماعياً مستقراً فإنها لم تعد كذلك الآن، وإذا كان الفنان يجتهد فى زحزحة البناء المنظم بعاداته وتقاليده، إلا أنه كان ينتهى دائمًا إلى وفاق ما بين بطله وبين هذا البناء، فمن المعروف أن الرواية العربية نمت فى ظل

---

(1) عبد الرحمن منيف: النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، 1999م، ص5.
(2) النهايات، ص25.
(3) روجر آلن: الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص 297.
(4) النهايات، ص137.
(5) المرجع السابق، ص183.

الرواية الغربية.

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نستشهد بكلام الكاتب عبد الرحمن منيف نفسه الذى يقول « *إن الرواية العربية بلا تراث، وبالتالى فإن أى روائى عربى معاصر لابد من أن يبحث بنفسه عن طريقة فى التعبير بدون أى دليل، أو بأقل ما يمكن من الأدلة*»[1]. وأنا أقصد بهذا الاقتباس من روائى قدر له أن يوجد لنفسه سمعة حسنة فى السنوات الأخيرة قبيل وفاته، أقصد التنبيه إلى ما ينطوى عليه التخريج من مغزى وما ينم عنه من محنة تمر بها الرواية العربية الحديثة. فمن الواضح أن المقصود بالرواية فى هذا الاقتباس، هذا الجنس بوصفه فنًا حديثًا نما فى ظل الرواية الغربية، وهكذا فهو يوحى بانبهار القاص العربى الحديث بالنتاج الروائى العالمى.

ثم أضاف إليها خبرات قرن من الزمان تقلبت فيه الرواية العربية بين اتجاهات شتى، وعانت من تحولات اجتماعية وسياسية شديدة الخطورة، الأمر الذى أدى إلى تحولها المتتالى واتخاذها أشكالاً مختلفة من البنى الفنية والرؤى الاجتماعية والأيديولوجيات السياسية.

تماهى شخصية الأب فى شخصية الحاكم

نتيجة لذلك، ونظراً لانشغال كتاب الرواية بقضية تحرير الأب من الضغوط التى تحول دون تحقق إرادته الحرة، نجدهم يتفقون على تقديمه فى أعمالهم كشخصية إشكالية عاجزة عن المواجهة. ومن ثم عمد بعضهم إلى محاولة نقل دور المواجهة إلى الابن، إلا أن فشل الابن فى التعبير عن أيديولوجيته فى معظم الأعمال الروائية وعجزه عن مواجهة مراكز القوى، دفع بعض الروائيين لأن يصور لنا بطريقة غير مباشرة ظهور أب جديد وقوة جديدة، حيث انتقلت السلطة من الأب إلى الحاكم الذى نال كل ميزات الأب، ومن ثم أصبحت السلطة الأخلاقية للأب متمثلة فى الحكم المطلق، للسلطة السياسية، أى الوضع الذى تكون فيه سلطة الملك على رعاياه، ممثلة لسلطة الأب على أبنائه فى الأسرة.

وهذا الخلط بين وظيفة الأب فى الأسرة التى هى مفهوم أخلاقى، ووظيفة الملك أو الحاكم الذى هو مركز سياسى، يدفع الحكام لدينا فى الشرق لاستغلال مفهوم الأبوة لخداع أبناء الشعب من السذج والبسطاء، فالحاكم أب للجميع أو (كبير العائلة) وهذا يعنى فى الحال أن من حقه أن يحكم حكماً استبدادياً، لأن الأب لا يجوز - أخلاقياً - مخالفته ولا الاعتراض على أمره. فقراره مطاع واحترامه واجب مفروض على الجميع. وبالتالى انتقل هذا التصور الأخلاقى إلى مجال السياسة، وانتقل الخلاف السياسى المشروع إلى كبت للمعارضة أيا كان نوعها، وأصبحت الانتقادات التى يمكن أن توجه إلى الحاكم / الأب عيباً يستلزم منه الوقوف وقفة حازمة بوصفه أبًا لكل أبناء الشعب ولكنه أب من نوع جديد يبرزه الحكم الاستبدادى.

والواقع « *أن الحاكم الذى يبرر حكمه بأبوته للمواطنين، يعاملهم كما يعامل الأب أطفاله، على أنهم قصر غير بالغين أو قادرين على أن يحكموا أنفسهم، ومن هنا كان من حقه توجيههم، بل عقابهم إذا انحرفوا لأنهم لا يعرفون مصلحتهم الحقيقية*»[2].

ورواية الكاتب الجزائري الطاهر وطار (الحوات والقصر) تعبر عن هذا التحول السياسى، حيث يتخذ الحاكم من شخصية الأب صورة جديدة للحكم تبرر التسلط والاستبداد السياسيين، فنجد أنها ذات أبعاد رمزية

---

(1) عبد الرحمن منيف: مجلة المعرفة، عدد شباط، 1979م، ص 41.

(2) The Black well, Encyclopedia of political Thought – Oxford Black well. P.120

متشابكة تصل إلى حد الأسطورة*.

وقد عبر وطار من خلال هذه الرواية بفنية بارزة عن أفكاره وعواطفه من خلال استبداد الحاكم وقسوته فى التعامل مع شعبه.

وتتناول الرواية حياة (علي) الصياد البسيط الذى يعيش أيامه على نمط واحد. وهو مثال للشاب « *الطيب الذى شذ عن أخوته الثلاثة وعن الكثير من أقاربه، فابتعد عن طريق الضلالة. لم يسرق يومًا، لم يكذب مرة، لم يعتد على أحد، لم يخض فى عرض أو يتعرض بسوء لغيره. كان مثال الشاب المستقيم*»[1]، وذات مرة سمع (علي) أن جلالة الحاكم قد نجا بأعجوبة من محاولة اغتيال، حين كان يتجول فى إحدى الغابات « *إن المسألة على جانب من الأهمية، فجلالته تعرض لمحاولة قتل. بل يقال أنه قتل. قاطعه أحدهم، فبادر آخر، لا يمكن أن يموت جلالته على يد أعداء أو لصوص، أنه تحت رعاية الله وفى حفظه* »[2].

وهذا المقطع المقتبس من الرواية يصور لنا رؤية العوام لشخصية الحاكم. فهو من وجهة نظرهم مبعوث العناية الإلهية، ومفوض من الله فى إدارة مقدرات شعبه. ومن ثم فكل ما يأتى به هو من قبيل القدر الذى لا يجوز الاعتراض عليه. بل إن الاعتراض قد يساوى فى بعض الحالات نوعاً من الخروج على إجماع الأمة أو الخروج عن الملة. و(علي) بوصفه واحداً من المؤمنين، بعد هذه الحادثة، وبمناسبة نجاة الحاكم من المحاولة الغادرة لاغتياله يصمم على أن يقدم هدية للسلطان، وهديته هى أغرب سمكة، وقعت فى شباك صياد قط لم تر العين مثلها. على أن يقوم بصيدها خلال هذا الأسبوع. ومن هنا يبدأ الرمز فى النمو حتى يصل فى بعض الأحيان إلى مستوى الأسطورة. وهذا النوع من الرمز « *يستحيل فى آخر أمره إلى أن يكون عملية خلق لأساطير جديدة أو بعبارة أخرى، يصطنع الأديب فيها تكنيك الأسطورة* »[3].

وبعد محاولات متكررة يتمكن (علي) من اصطياد سمكة كبيرة. تحقق أمله فى تقديم الهدية المنشودة. والاختلاف الذى يميز هذه السمكة من غيرها أن بها تسعة وتسعين لوناً مختلفاً. ثم ينطلق (علي) بها عبر القرى التى تفصله عن القصر، ويبدأ نوع من تراكم الرموز وتفكيكها متمثلاً فى القرى السبع التى لابد (لعلي) أن يجتازها ليصل إلى غايته ابتداء من قرية (التحفظ) ثم قرية (الحظة) ثم قرية (التصوف) ثم قرية (أنصار الظلام) ثم قرية (بنى هرار) ثم قرية (الإباه) وأخيراً قرية (الأعداء).

ويتبين (لعلى) أن كل سكان هذه القرى معادين للقصر « *هؤلاء الناس متشابهون هنا وهناك فى كل القرى لهم موقف واحد. أنهم يشعرون بالانفصال التام عن القصر*»[4]. وموقف العداء من القصر، الموقف الذى تتخذه هذه القرى يكشف عن القصور السياسى فى الحكم. فما هو إلا رمز أدى إلى تفشى آفات اجتماعية تعوق عملية تقدم المجتمع الجزائى، كما يمنع نموه فى اتجاه المعاصرة. وهكذا يتكشف الرمز أكثر فأكثر، فما هذه القرى التى اجتازها البطل إلا محطات تؤذن بتطور وعيه من خلال رمزية هذه القرى نفسها، فهى إذن انعكاس لما كان يجرى فى الولايات الجزائرية النائية من عدم اهتمام الدولة وعدم الرعاية لها وعدم تفقد أحوالها.

وعلى الرغم من أن أقرب القرى من القصر حذر أهلها (علياً) من خطورة ما هو مقدم عليه، إلا أنه يواصل السعى إلى هدفه « *يا علي الحوات، أحذر، ثم أحذر من رد فعله، فهو غالباً ما يصلح أخطاءه، بفظائع*

*** صدرت الرواية 1980م عن المؤسسة الوطنية للكتاب. وكان الكاتب قد انتهى من كتابتها 1974م ولعل فى تأخر النشر (ست سنوات) إشارة إلى بعض المعوقات التى واجهها الكاتب بسبب موضوع الرواية وطريقة معالجته للمشكلة السياسية.**

(1) الطاهر وطار: الحوات والقصر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1980م، ص17، 18.

(2) المرجع السابع، ص13.

(3) أحمد كمال زكى: دارسات فى النقد الأدبى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص178.

(4) الحوات والقصر، ص50.

شنيعة يرتكبها. نحن أقرب الرعية إليه، ونحن أدرى بشئونه من غيرنا، القصر بليد، هو لا يتفطن إلى أخطائه، إلا فى آخر الأمر، فإياك ثم إياك، فلا تظن أنه يجهل أمرك»[1].

وعندما وصل الحوات إلى القصر منعه الحراس من الدخول، بل زادوا فألقوا القبض عليه، ففقد سمكته الجميلة الألوان، وفقد معها يديه ولسانه وعينيه التى فقأها الحراس. والعجيب أن هذا الصياد الفقير المغيب عن الوعى السياسي أو عن مدركات السياسة، يكتشف أن أخوته الثلاثة هم من حاشية السلطان، وهم الذين قاموا بتعذيبه.

ونلحظ، كما أشرت، أن الطاهر وطار اعتمد فى بناء روايته على جماليات البناء الرمزى، وأنه وصل بهذا الرمز إلى حد الأسطورة متخطياً المجاز المباشر فى إشارات أسماء القرى وغيرها من رموز الرواية.

إن وجود الحاكم فى الرواية يشخص السلطة ووعيها وممارستها، ويعتبر الحاكم شخصية مركزية بؤرية، فهو يحاول أن يفرض سلطته السياسية من منطلق أبوى أخلاقى، إلا أن هذا المسعى ينتهى به مستبداً. إذ إن طاعة الأب تختلف أتم الاختلاف عن طاعة الحاكم، فطاعة الوالد أخلاقية، واحترامه واجب أخلاقى. وننتهى فى هذا القول، إلى أن السلطة السياسية وسلطة الأب تختلفان اختلافاً بيناً، وتتمايزان أشد تمايز، لأنهما تقومان على أسس مختلفة كل الاختلاف، وتهدفان إلى أغراض مختلفة.

والحق أن مذهب السلطة الجامعة السياسى الذى عم الوطن العربى، أثر بشكل أو بآخر ليس فى السلطة الأبوية فحسب وإنما فى حياتنا كلها، الأمر الذى تسبب فى محدودية دور الأب الأخلاقى. وهذا المذهب الذى شاع تحت اسم (الشمولية) أو مذهب السلطة الجامعة هو «***شكل من أشكال التنظيم السياسى يقوم على إذابة جميع الأفراد والمؤسسات والجماعات فى الكل الاجتماعى (المجتمع أو الشعب أو الأمة أو الدولة) عن طريق العنف، ويمثل هذا الكل قائد واحد يجمع فى يده كل السلطات***»[2].

وعلى هذا فإن الأدب حين يعكس رؤية تقدمية للواقع، فإنه ـ بهذا المعنى ـ يعد ممارسة سياسية فاعلة ولا ريب أن الأدب الجيد، ملتزم بالضرورة، والالتزام يقوده إلى صف المعارضة.على أن الالتزام لا يعنى التمسك بنمط معين من أنماط البناء الفنى المعتاد. فإذا كانت الرواية العربية مشغولة بقضية تحرير الأب فأنها مشغولة فى الوقت نفسه، بإحراز تطور على مستوى التكنيك وتحقيق خصوصية قومية على مستوى التشكيل. وكما سبق القول فإن الكاتب العربى يصارع على أكثر من مستوى؛ باعتباره داعية سياسيًا ومرشداً إنسانياً.

«***إن العلاقة الجدلية بين الفن والسياسة كانت وستكون حصيلتها الأساسية إغناء الفن بمضامين وموضوعات جديدة، وبنماذج إبداعية مبتكرة ، وتقريب فكرة حزبية الفن والإبداع الإنسانى عامة. إلا أنه مهما كان هذا التلاحم بين الفن والسياسة شديداً، لا يصح عدم تجاهل ضرورة عزل طابع الفن عن القوالب السياسية اليومية المباشرة***»[3].

والحاكم فى الغالب وكما صوره الروائيون شخصية كريزمية Charismatic له قوة سحرية قادرة على جذب الجماهير، فيطيعونه طاعة مطلقة. ومن هنا يمارس الحاكم المستبد سلطاته من منطلق أبوى شمولى، وهذه الشمولية ضرب من ضروب الحكم التسلطية، فهى تمسك بالمظهر الديمقراطى لتسويغ سلطتها وإعطاء نظام

---

(1) المرجع السابق، ص106.
(2) عبد الله إبراهيم ناصف: السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، ص203.
(3) ف. ريابوف: الفن والأيديولوجيا، ترجمة د.خلف الجراد، ط دار الحوار، سورية، 1984م، ص14.

حكمها طابع الشرعية، فالديمقراطية فى المذهب الشمولى تعنى أن إرادة القائد أو الزعيم هى إرادة الشعب، أو كما ذهب بعض المنظرين عندنا فى العهد الناصرى هى «*ديمقراطية التحسس*»[1] بمعنى أن القائد الزعيم الملهم يتحسس مطالب الجماهير ويصدر بها قرارات وقوانين. ولما كان الشعب دائمًا على حق، فإن الزعيم المعبر عن إرادة الشعب هو دائمًا على حق، ولكن يثبت القادة الشموليون أن إرادتهم هى إرادة الشعب فأنهم يلجأون إلى أسلوب الاستفتاء العام والتصويت « *وبهذه الطريقة يستخرج الزعيم الملهم، والقائد الساحر، من قبعة الدكتاتورية أرنباً اسمه الديمقراطية*»[2].

ذلك أن القائد يعبر عن إرادة الشعب، لكن كيف تتكون إرادة الشعب؟ وكيف تتحدد؟ هاهنا يكمن ضعف الديمقراطية، حيث تبرز ظاهرة التلاعب بمشاعر الجماهير والسيطرة على الشعب باسم الشعب وباسم الديمقراطية، فهى ظاهرة قديمة قدم الديمقراطية نفسها.

ولقد عبر علماء النفس عن ذلك باسم«*غريزة القطيع*»[3] ولقد أدرك السياسيون الشموليون هذه الحقيقة، فاتجهوا إلى مشاعر الناس، لا إلى عقولهم، واكتسبوا التأييد من خلال تعطيل العقل وإلهاب المشاعر، وإثارة الحماس بالخطب واللافتات، والشعارات الكبرى، إذ يسهل جذب الجماهير عن طريق العواطف والمشاعر. لأن طريق المناقشات العقلية أو طرح الأفكار قد يثير جدلاً، وبالتالى خلافاً فى الرأى. والخلاف فى الرأى غير مسموح به، لأنه يتعارض مع الرؤية الشمولية التى توحد المجتمع فى كل واحد.

ومع ذلك فإدراك السياسيين لأثر شخصية الأب فى حياة المجتمع، هو مادفع الكثير من زعمائنا العرب إلى تمثيل دور القائد الأب، أو الأب القائد ظاهرياً للتأثير على مشاعر الجماهير الذين وجدوا فى شخصية الحاكم، البديل القوى لصورة الأب الفعلى.

(فجمال عبد الناصر) مثلاً لم يكن سوى أب رمزى لكل العرب، وقد جاء ذلك على لسان (هشام إبراهيم العابر) بطل ثلاثية (أطياف الأزقة المهجورة) للكاتب السعودى تركى الحمد «*كان جمال رمزًا وأبًا للجميع... يكرهونه، يبغضونه، يختلفون معه، يتهجمون عليه، يتعاركون معه، ولكن لا يمكن الاستغناء عنه، أو تحمل فكرة عدم وجوده، فقد تكره أباك كل الكره، وتتمنى فى أعماقك زوال هذا الأب، كى تنال حريتك الكاملة، ولكن ما إن يموت حتى يتبدى لك الفراغ الذى ترك، وتنهشك الآلام وتبكيت الضمير، لأنك تمنيت زواله فى يوم من الأيام. عندما يموت الأب، تحس أن شيئاً من ذاتك قد مات، وأن حائطاً كنت تستند إليه قد انهار، ولكنك لا تشعر بوجود هذا الجدار حتى ينهار، فتتمنى لو عاد الزمن الذهبى الجميل، ولكن هل يعود ما مضى.. لقد كان جمال كل ذلك*»[4] نعم لقد ذهل العالم العربى فى الليلة التى مات فيها عبد الناصر 28 سبتمبر 1970، ولاسيما ما فعله المصريون من بكاء وعويل على نحو هستيرى، « *وعاشت الأمة العربية ومصر بالذات ثلاثة أيام كئيبة*»[5].

وفي روايات الكاتب السوداني (الطيب الصالح) نلمح غياب الدور السياسي لشخصية الأب، فلم نر

---

(1) حسن حنفى: الديمقراطية وحقوق الإنسان فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986م، ص217.
(2) مصطفى مرتضى على محمود: المثقف والسلطة دراسة تحليلية لوضع المثقف المصرى فى الفترة من 1970-1995م، دار قباء للطباعة والنشر، 1998م، ص301.
(3) عزت قرنى: العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة، سلسلة عالم المعرفة بالكويت، عدد رقم 30، يونيو 1980م، ص64.
(4) تركى الحمد: الشميسي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانيةن 1998، ص90.
(5) الشميسى ، ص 91.

رواية واحدة على كثرة ما أتيح فى أدب الطيب صالح، قد أفردت للجانب السياسى. والدراسة النفسية التى قامت بها الباحثة اللبنانية (رجاء نعمة) لرواية (موسم الهجرة إلى الشمال) والتى كان عنوانها (صراع المقهور مع السلطة) لا يجب أن نفهم من عنوانها أن هذا الصراع صراع سياسى، وإنما هو صراع مع السلطة الاجتماعية، وبين حضارة الشرق وحضارة الغرب المتسلط.

إلا أن الناقد التونسى (البشير المجذوب) فى مقاله « *موسم الهجرة إلى الشمال بين الاصالة والمعاصرة*»[1] قد جعل المضمون السياسى فى هذه الرواية من مضامين المعاصرة فيها. وهذا لا نجده فى هذه الرواية، فالحكومة لا تهتم بالفلاح إلا فى أوقات الانتخابات، فعم الراوى (عبد المنان) يقول فى (موسم الهجرة إلى الشمال) « *كل الذى يفلحون فيه يجيئون إلينا مرة كل عامين أو ثلاثة بجماهيرهم ولواريهم ولافتاتهم، يعيش فلان ويسقط فلان....*» [2].

ولعل هذه الصورة صادقة لصخب وضجيج الانتخابات يحسها بعمق، ويعيشها كل إنسان نشأ فى قرية من قرانا العربية، فالمرشحون باسم الفلاح لم يرهم من قبل، فهم من سكان المدن الذين كانوا فيما سبق من مواليد الريف، يأتون أيام الانتخابات إلى قراهم، ليذكروا الفلاح بروابط هى مقطوعة فى الأصل، ويعطونه وعوداً بتحسين أحواله، وبعد أن ينجح من ينجح لا يعود الفلاح يرى أحداً منهم.

كما أن اللافت للنظر أن الثورات تقوم، وتتغير الحكومات، وتتبدل باستخدام شعارات تدور حول الفلاح الأب، وتستخدم مصالح الفلاح كورقة رابحة تحارب بها حكومة حكومة أخرى، والفلاح بعيد عن اللعبة ولا يدرى من أمرهم شيئاً.

والغريب فى الأمر، أن اهتمام الحاكم بتلبس شخصية الأب فى حكمه سار على نحو نقيض من الشخصية الفعلية لهذا الأب، فعلى الرغم من أن الرجل الأب هو محور إنجاح العمل السياسى، إلا أنه كان بعيداً كل البعد عن المشاركة الإيجابية نتيجة عدم الوعى بطبيعة العمل السياسى.

ففى رواية (مريود) للطيب صالح يتعجب الطاهر ود الرواسى من الكلام الكثير، الذى يقال طوال النهار فى وسائل الإعلام عن الفلاحين، والعدالة الاجتماعية، وزيادة الإنتاج، ولأن هذا غير متحقق فى حياتهم يتساءل (الطاهر) متعجباً عن هؤلاء الفلاحين وأين يسكنون « *أصله الزمن دا بقى زمن كلام، إذاعات وسنمات وجرانين ومدارس واتحادات وهوسه، يومتها أسمع الإذاعة تلعلع... العمال.... الفلاحين.... الاشتراكية.... العدالة الاجتماعية... زيادة الإنتاج... الانتهازية... الرجعية... أى يخوانا مصيبة شنو الوقعت علينا دى؟*»[3].

فالطاهر ود الرواسي، ذلك الفلاح البسيط قد أدرك أن ذلك ما هو إلا شعارات يرفعها الحكام دون تنفيذ.

والطيب صالح شديد الإدراك بأن المناخ السياسى فى السودان، لم يستقم حاله، بل نخر فيه الفساد وكأن أبناء البلد قد بلاهم الله بمساوئ الاستعمار من قبل وبفساد أبناء الوطن الحاكمين بعد الاستقلال، فمجال العمل السياسى لا كفاءات فيه، ولا مصالح وطن تراعى، بل مفاسد ورشاوى، ومصالح خاصة.

إن بعد الأب عن مجال العمل السياسى لا يعنى سلبية وعدم وعى، وإنما يعبر عن وعى كامل بفساد السياسات الحالية التى أصبح طريقها الأوحد هو القمع. ولأن مقاييس الوصول للسلطة هى مقاييس لا تعتمد

---

(1) البشير المجذوب: مجلة الفكر التونسية، عدد 7 سنة 1985، أبريل ،ص50.
(2) موسم الهجرة إلى الشمال، ص68.
(3) الطيب صالح، مريود، دار العودة، بيروت، 1987م، ص42، 43.

على الكفاءة، وإنما تعتمد على الأساليب البراقة، فلا عمل يؤديه السياسى سوى الجرى وراء أهوائه الشخصية، يرفع من يحب ويذل من يكره.

والروايات ذات الطابع السياسى عامة تومئ إلى أن حكام البلاد لا يلتفتون أى التفات إلى آلام وعذابات الشعب، وما نتج عن ذلك من غياب العدالة الاجتماعية؛ ولذا فموقف الأب فى روايات الطيب صالح – على سبيل المثال– من الحكومة موقف النفور، فالفلاح فى هذه الروايات يشعر بالظلم الواقع عليه، فالأب يكد، ويتعب، ويدفع الضرائب، وعلى الرغم من ذلك تميز الحكومة المدنية على الريف فى إقامة المشروعات وتوفير الخدمات.

ونفور الأب من الحكومة قد جعل حضور الحكومة فى حياة القرية لا وجود له، كما يقول الأستاذ (عبد الصمد زايد) عندما تحدث عن الحياة الاجتماعية فى القرية أثناء تحليله لرواية (عرس الزين)، يقول: « *وكذلك الحياة الاجتماعية، فهى كالحياة الاقتصادية، تخضع فى المقام الأول للقوى الداخلية الذاتية للقرية، من ذلك انعدام حضور الحكومة وضعف أثرها فى الحياة العامة، والعمدة هو ممثلها، وهو من الشخصيات الثانوية، ودوره فى أحداث الرواية ضعيف محدود*»[1].

فالطيب صالح يشير فى رواياته من طرف خفى إلى أن الوصاية الأبوية قد انتقلت إلى الحاكم، الذى اتخذت وصايته طابع الاستبدادية، حيث يلعب الحكام لدينا ـ وأياً كان النظام السياسى المعلن ـ دور الأب الراعى للمجتمع بأسره. وهو يكتسب بذلك وضيعة شبه تقديسية تجعله صاحب القرارات السيادية العليا، التى هى دائمة الصواب، من وجهة نظر الحاكم، لأنها تعبر هن حكمة شبه إلهية لا يراجعه فيها أحد، كما أنه من غير الوارد أن يترك موقعه ما دام حياً.

مما يدل على أن الحاكم احتل مكانة غيره للرغبة فى السيطرة على أفراد مجتمعه وقد أدى ذلك إلى إحساس عميق عام لدى الأباء ـ وهم رمز للمثقفين ـ بالمهانة، أضف إلى ذلك إحساس الأب بالضآلة أمام ذلك الآخر (الغربى) القوى والمتقدم من ناحية، كما أدى إلى الشعور بعدم القدرة على الاستغناء عن ذلك الغربى لأننا لا نستطيع سوى أن نستهلك ما ينتجه من ناحية ثانية، ومثل تلك العلاقة المتناقضة من الطبيعى أن تصبح محملة بتوترات لا حصر لها. والواقع أن ثمة هوة بالغة الاتساع بين صورة كل أب فى عيون الآخر. وربما كانت الوقائع والظروف التاريخية التى أحاطت بالالتقاء بينهما هى التى أسهمت فى تعقد ذلك التصور المتبادل. وإن يكن ذلك بطبيعة الحال لا ينفى على الإطلاق دور الهيمنة الاستعمارية فى خلق تلك التناقضات، أضف إلى ذلك ثورات الربيع العربي المتلاحقة، وما تبعته من توجهات مشبوهة في المجتمعات العربية وما فرضته المنظمات المدعومة تحت مسمى الحريات والمساواة مع الرجل، وتلاعبها بالقوانين الأسرية في المنطقة العربية، الأمر الذي أثر سلبًا على كيان المجتمع العربي، وظهور قوي لسلطوية المرأة وخروجها عن المألوف، مما أدى لتداعي نظام الأسرة الشرقية وازدياد نسب الفشل الأسري وظهور جيل ضعيف من (أبناء الشقاق) وعلى أى حال فقد أدت تلك الوضعية إلى وقوعنا فى إشكالية ملتبسة تجاه الحداثة.

لقد طال بنا المسير مع أيديولوجيا السلطة الأبوية فى الرواية السياسية، ومع ملامح المنهج الذى ألتزمه الروائيون العرب فى تصوير شخصية الأب.

---

(1) عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته فى الرواية العربية الحديثة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1998م، ص190.

وقد جرت العادة بين كتّاب البحوث العلمية أن يختموا دراساتهم بما سجلوه من جديد فى مضامين الموضوعات التى كتبوا فيها، فإذا كان المقصود بالجديد، الإيجاد من العدم أو الخلق من فراغ، أو بمعنى آخر ابتكار ما لم يكن له وجود، فهذا البحث لا جديد فيه على هذا النحو. أما إذا كان المقصود بالجديد الاهتداء إلى موجود تائه، وإلقاء الضوء على غائم، وإزالة الغبار عن غائب دفين، وجمع أشتات متناثرة وأوصال متفردة، وتجميعها فى بناء عضوى متكامل متلاحم، فالبحث على هذا النحو من الجدة.

وننتهى من هذه الدراسة لنؤكد بعض النتائج :

النتائج:

1. لقد عرضت في هذه الوريقات البحثية التطور التاريخى للسلطة، ومن ثم تحدثت عن مفهوم السلطة فى محيط الأسرة وتمركزها فى شخص الأب وقدمت عرضًا لتوضيح كلمة (أسرة) فى المعاجم اللغوية المختلفة وخلصت إلى أن معظم المعاجم العربية أجمعت على أنها مشتقة من الأسر وهو القيد. وعلى هذا فلم يستخدم القرآن الكريم كلمة الأسرة مما يعتبر قيدًا ثقيلاً، يثقل كاهل الإنسان، وإنما استخدم القرآن كلمة (الأهل) بديلاً، وبهذا يكون الإسلام قد عدّل مفهوم (الأسرة) إلى (الأهل) ليجعل الأسرة مسئولية من مسئوليات الإنسان المتعددة.

2 . ثم تحدثت عن السلطة داخل الأسرة، هل يمكن تصنيفها على أنها سلطة أبوية بمعنى تسلط الأب وسيطرته سيطرة كاملة على أعضاء الأسرة ؟ أم هى سلطة أمومية؟ وأوضحت أن الأسرة الإسلامية تبعًا للشريعة المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة لا يمكن تصنيفها فئة الأسر الأبوية، أو الأمومية، ذلك لأنها تعد أسرة زوجية أو أسرة حقوقية كاملة، حيث تحدد لكل من الأب والأم وكذلك الأبناء حقوقه وواجباته، بحيث تحفظ لكل آدميته وكرامته ومستقبله وحريته فى إطار من الانضباط الشرعى، وعدم الاعتداء على حرية وآدمية وكرامة الآخرين.

3 . وقد تناولت الأب رمزًا للسلطة السياسية، وأوضحت أن خلق شخصية الأب فى العمل الروائى يأتى فى إطار شبكة من العلاقات من شأنها أن تجعل هذه الشخصية تتخذ طريقها نحو الوضوح وظهور معالمها المميزة، فالأب ما هو إلا كائن اجتماعى لا يستطيع أن يظهر فى عزلة عن زمانه أو مكانه أو الآخرين.

4. ثم عرضت للنظام السياسي والأسرة وسلطة الأب في الرواية العربية، وأكدت أن الأفكار السياسية لابد أن تشكل حلقة مهمة فى مضمون الرواية العربية، فهى ضرورة من ضرورات العمل الفنى، مثلها مثل كل الأفكار أو الموضوعات الأخرى التى تتناولها الرواية، وأثبت أن انعدام النظام يدفع البشر للفوضى، ولا يعنى وجود أفكار سياسية في مضمون الرواية أن الرواية سياسية فحسب أو أنها تمثل نمطاً مستقلاً من أنماط التعبير الروائى، وإنما تعكس بهذا التوجه ملمحاً اجتماعياً وهاجساً ثقافياً يعبر عنه الروائيين بوصفهم جزءاً من نسيج المجتمع وأداة من أدوات التعبير عن همومه المتجددة.

وقمتت بتحليل دور الأب من منظور سياسي بوصفه القائد لجماعته، فقد تتجاوزتت صورة الأب في الرواية العربية كونها حقيقة موضوعية، وعمدتْ إلى طرح إشارات سيميولوجية وجب على النقاد إعادة تحليلها لما

لشخصية الأب من دلالات رمزية.

5. ومن خلال حديثي عن فلسفة الرؤية السياسية، وتناول أدوات بعض الروائيين العرب أثبت إن دور الأب تجاه النواحى السياسية فى هذه الروايات بدا محدوداً الأمر الذى جعله يعانى الإشكالية لعجزه عن مواجهة الصعاب. ولكننى ألمحت أن شخصية الأب لا تظهر فى الرواية رافضة للقيم والتقاليد، والأعراف السائدة، ولا تتمرد على القيم الفكرية أو الدينية أو حتى السياسية، وإنما أبرزها الروائيون بوصفها شخصية عاجزة عن أن تسترد مكانتها القديمة، كمنبع لهذه القيم ولهذه التوجيهات الفكرية أو السياسية.

ووراء ذلك إحساس الأب بالعجز بسبب وجود كثير من المعوقات المادية والمعنوية، فيسقط نتيجة الصراع الحاد بين الرغبة وعدم القدرة، ويصبح شخصية مأزومة مهزومة مهمشة أو متشيئة أو مغتربة. وأثبت أن إخفاق الأب العربى فى مواجهة التطورات السياسية فى النصف الثانى من القرن العشرين ومقتبل القرن الحادي والعشرين يرجع إلى غياب الوعى العربى والقوى الفاعلة، وبخاصة الثقافة العربية؛ إذ فقدت مكانتها فى ساحة الصراع لأنها لم تكن فى وضع يسمح لها أن تقود الصراع فى مواجهة معطيات الحداثة العصرية. و إزاء التبدل السياسى واصطراع الحياة السياسية يحن الأب لماضيه هروباً من واقع متأزم.

6. وقد حرص الكتاب على إظهار الحاكم فى الروايات ممثلاً لدور الأب المطاع، من خلال سياسة شمولية قائمة على القمع وربما تعكس هذه النقطة تحديداً التحولات الاجتماعية التى شملت المجتمع العربى، أو تعكس أزمته الحقيقية فى مواجهة أنماط سياسة حاكمة، لا تهتم بشعوبها قدر اهتمامها بالحفاظ على مراكزها وكراسيها الحاكمة. ومن هنا جاء اهتمام الرواية بتصوير هذا الواقع السياسى وأثره على شخصية الأب في المجتمع.

وناقشت فلسفة الرؤية السياسية وتماهى شخصية الأب فى شخصية الحاكم واستنتجت أن الروائيين العرب يصورون الحاكم كشخصية كريزمية لها قوة سحرية قادرة على جذب الجماهير، حيث يطيعونه طاعة مطلقة. ومن هنا يمارس الحاكم سلطاته من منطلق أبوى شمولى، وهذه الشمولية ضرب من ضروب الحكم التسلطية. على أن قضايا السياسة وأزماتها الخطيرة لا تبرز أبعادها فى أى عمل أدبى، إلا من خلال رؤية واقعية للحياة والفن، تعكس التطور الحقيقى فى هذا الواقع، كما تعكس أزماته الأخلاقية والنفسية السائدة.

وفي النهاية لا أقول إنى قد استوفيت الموضوع بكل جوانبه، وإنما حسبى أن تكون هذه الدراسة المختصرة مقدمة لدراسات أعمق فى هذا المجال، متمنيًا تجنب كل ما وقع منى من قصور فى خطواتى المقبلة إن شاء الله.

وأسأل الله التوفيق،،،

الباحث

د . شريف شمس الدين

جامعة النخبة الليبية ـ بنغازي

المصادر

1. **تركى الحمد: الشميسى، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.**
2. **صنع الله إبراهيم: اللجنة، دار المستقبل العربى، القاهرة، 1997م.**
3. **الطاهر وطار: الحوات والقصر، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1980م.**
4. **الطيب صالح: مريود، دار العودة، بيروت، 1987م.**
5. **عبد الرحمن منيف: النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، 1999م.**

المراجع

1. **ابن منظور الإفريقى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د. ت.**
2. **. أحمد كمال زكى: دراسات فى النقد الأدبى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت.**
3. **إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط3، 1997م.**
4. **ثروت بدوى: النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986م.**
5. **حسن حنفى: الديمقراطية وحقوق الإنسان فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986م.**
6. **حمدى حسين: الرؤية السياسية فى الرواية الواقعية فى مصر من 1965 . 1975م، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1994م.**
7. **روجر آلن: الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م.**
8. **رينيه ويلك وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيى الدين صبحى، مراجعة حسام الدين الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات، ط2، 1985م.**
9. **سناء الخولى: الأسرة فى عالم متغير، الهيئة العامة للكتاب، بيروت، 1974م.**
10. **صوفى حسن أبوطالب: مبادئ تاريخ القانون، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1965م.**

11 طه عمران وادى: الرواية السياسية، دار النشر للجماعات المصرية، القاهرة، ط1، 1996م.
12 ـــــ: دراسات فى نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
13 عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته فى الرواية العربية الحديثة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1998م.
14 عبد الله إبراهيم ناصف: السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م.
15 عزيز ماضى: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، يونية 1978م.
16 غالى شكرى: معنى المأساة فى الرواية العربية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ت.
17 فاطمة الزهراء: العناصر الرمزية فى القصة القصيرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1984م.
18 ف. ريابوف: الفن والأيديولوجيا، ترجمة د. خلف الجراد، طبعة دار الحوار، سورية، 1984م.
19 كارل ماركس: بيان الحزب الشيوعى، دار التقدم، موسكو، 1968م.
20 لينين: ما العمل، دار التقدم، موسكو، 1967م.
21 مصطفى مرتضى على محمود: المثقف والسلطة دراسة تحليلية لوضع المثقف المصرى فى الفترة من 1970 . 1995، دار قباء للطباعة والنشر 1998م.
22 وهيب إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية فى العصور القديمة، دراسة تاريخية مقارنة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1961م.

الدوريات والمجلات والصحف

1. البشير المجذوب: مجلة الفكر التونسية، عدد 7 سنة 1985م.
2. جبرا إبراهيم جبرا: عبد الرحمن منيف سياسيا، جريدة الحياة، آداب وفنون، الأحد 25 كانون الثانى (يناير) 2004م.
3 .عبد الرحمن منيف: مجلة المعرفة، عدد شباط، 1979م.
4 . مدخل لدراسة أثر النفط فى المجتمع العربى، جريدة الخليج، العدد 3367، 1993م.
5 عزت قرنى: العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة، سلسلة عالم المعرفة بالكويت، عدد رقم 30، يونيو، 1980م.